الامبراطور ابو مسلم

ومقالات (القتل السياسى فى الاسلام)

كنا أردنا وضع حد لهذا العبث التاريخى بعد أن نبهنا فى عدة ردود على هذه المقالات التى تكتب تحت عنوان القتل السياسى فى الاسلام بجريدة السياسة الاسبوعية. وأن هذه الحقيقة تنحصر فى نقط محدودة من التاريخ الاسلامى فى القرن الاول للهجرة. وأنه لمن الخطأ الواضح الاسترسال فى ايراد القصص التاريخية معنونة هكذا ولكن بعد أن محضنا النصح فلم يسمع لنا ماضرنا أن يسرد تحت هذا العنوان جميع القصص التاريخية منذ بدء الخليقة إلى برقيات آخر ساعة من حوادث العالم وحتى تاريخ أوربا القديم والحديث والثورة الفرنسية ونابليون وما أشبه ذلك، كما أنه ماضرنا أن نستمر فى ملاحظاتنا على هذه المقالات لامن باب الاهتمام بشأنها وإنما لنتسلى بما فيها من سفساف

اعتدنا فى ردنا على صاحبنا أن ننقل بعض عباراته حرفياً ثم نناقشها منطقيا دون افتيات أو تحامل وهاك أول مابدأ به من المقال المعنى بهذا الرد قال أتقدم اليك بشخصية من أضخم شخصيات التاريخ وأروعها. وأنا لا أعرف رجلا قد تذوق شيئا من المنطق والتاريخ يذهب إلى أن شخصية أبى مسلم من أضخم شخصيات التاريخ وأروعها إلا إذا كان لم يعرف من التاريخ غير أبى مسلم وإلا فأين أبو مسلم هذا من الحجاج بن يوسف وهو تلك الشخصية الفذة التى حملت من اعباء الحوادث ماينوء تحتها آلاف أبى مسلم وأخضعت من رقاب كانت تطاول الجوزاء ونكست من رءوس ماكان لتنكسها سطوة كسرى ولاجبروت قيصر وأرغمت أنوفا لم تكن راغمة لولا عزمة من الحجاج تكل دونها عزمات الرجال ذلك؟ الرجل هو ذو الشخصية التى يقال عنها بحق إنها من أضخم شخصيات التاريخ وأروعها، ومن الغريب أن الحجاج تقدم فى بحوث صاحبنا قبل ذكر أبى مسلم، فلم وقع نظره على هذا الاخير وتقدم به

مقرونة شخصيته بشخصية الامبراطور نابليون ، ومالك ياهذا ونابليون فى ذكر أبى مسلم وغير أبى مسلم من عمال وأجراء ومسخرين يعملون لمجد الغير وليس لهم مطمع فى أن يستقلوا بهذا المجد بل ولا ما كانت لتجرى به ألسنتهم إلا مقرونا باسناده إلى أهله والتوسل بهم فى انجاح مسعاهم. فهل كان ذلك شأن نابليون فى حياته التاريخية ؟ أم أن لنابليون شأن آخر غير شأن أبى مسلم من استقلال وعظمة وسؤدد وعبقرية فذة فى الاصلاح الاجتماعى والسياسى والادارى وغير ذلك من المزايا والصفات التى لو عرفها ذلك المؤرخ لو فرغ على السياسة الاسبوعية ذلك الفراغ من صفحاتها القيمة لتشغل من غيره بكل قيم مفيد. ذهب أبو مسلم الى ابراهيم الامام وقبل يده فباركه ابراهيم وولاه الشيعة الخرسانية ، وكون ابى مسلم شاباً أو شيخا فليس هذا محل بحث المؤرخ المسئول الذى يعنى مايقول، وإنما يكفى أن نقول ان أبا مسلم كلف بالقيام بالدعوة العباسية وهو رجل تام الرجولة كان قد تجاوز سنه سن ضابط تخرج عندنا من مدرسة الحربية فى هذا العصر فليس فيما فعل من مجهود ومانال من نجاح غرابة بالنسبة إلى سنه وليس هذا مما يصح أن يعطى أهمية تاريخية ويكون وجها من وجوه المقارنة بين أبى مسلم ونابليون وليس من المستغرب أن ينال الانسان مجده فى ابان شبابه بل هذا هو الاصل فى نيل الرغائب والظفر بحاجات النفوس . يقول حضرته (وحيث أنى قد طرحت بين يديك المقارنة بين هذين العظيمين فاسمع ماأقوله عنهما) ثم بدأ بأبى مسلم فنقل فيه عبارة بن خلكان حرفيا حتى استغرقت صفحة من صفحات السياسة إلى أن انتهت بقتل أبى جعفر المنصور لابى مسلم وبينا نحن فى مسأمتنا من تلاوة قصة بن خلكان وتاريخ أبى مسلم المعروف ننتظر جديداً عن تاريخ نابليون حتى نعرف اتفاق الرجلين العظيمين فى المزايا والصفات وهما اللذان تقدم لنا بهما حضرته مقرونة شخصية كل منهما بشخصية الآخر . نعم . انتظرنا وانتظرنا طويلا وباشتياق عظيم لأن يطرح آمامنا تاريخ نابليون كما وعدنا فى مقدمته فاذا الامضاء الكريم واختتمت المقالة ولم نر أثراً فى التكلم على الامبراطور نابليون كما تكلم عن امبراطوره أبى مسلم عدا المقارنة الفارغة التى صدر بها مقاله وعدا تلك الجملة الركيكة التى جاءت عرضا ضمن كلامه وهى قوله (كذلك نابليون قام لمجد فرنسا فأمعن فى

التوفيق وأخضع أوربا وغير أوروبا ورفع نفسه إلى العرش عقب الثورة الفرنسية إلى أن قال.
(ومن العجيب أن حياة كليهما انتهت بفاجعة فالاول قتل بيد أبي جعفر والثاني مات.
مهموما في منفاه) وإلى هنا اعتقد هذا المؤرخ الساذج أن المقارنة قد تمت بين الرجلين
فقال (والآن وقد فرغت من هذه المقارنة فسأعود بك إلى المترجم) وحيث أن
حضرته تهرب من الكلام على نابليون لانه لم يعثر له على ابن خلكان آخر ينقل منه
عبارته فنحن نرحم ضعفه من هذه الوجهة ونناقشه في عبارة الصدر. يقول المؤرخ
اللبق في مقارنته اللطيفة (أن ذهاب أبي مسلم إلى خراسان وحربها كان بعد العشرين
اظفر نابليون في استرلتز كان بعد العشرين بسنين) كنت أريد أن أغض عن هذه
النقطة المهمة من جهل هذا المؤرخ بتحديد سن كل من الرجلين في الحادثتين المهمتين
اللتين اختارهما للمقارنة بينهما، لكن أمانة النقد تأبى إلا أن نسوق هذه الملاحظة
الدقيقة ليعلم القارئ ما إذا كان هذا المؤرخ يكتب عن علم بالتاريخ أم أنه مجرد
تهويش في أن يقول حضرته أن فلانا ذهب إلى كذا بعد العشرين وآخر ذهب إلى
كذا بعد العشرين بسنين، مع العلم بأنه يظهر أن هذه هي النقطة الوحيدة التي عرفها من
تاريخ نابليون، ومع ذلك يجهل كم كان سن نابليون بالضبط عند ظفره في استرلتز.
ولنعد إلى مناقشته في هذه المقارنة. أبو مسلم ونابليون كلاهما دعي للحرب والجلاد
وحضرته يقرر بأن كلا منهما كان يتجاوز سن العشرين فهل كنت ياهذا تنتظر أن
يدعى لمثل هذه المواقف الخطيرة — ليقتحم مافيها من عراك ونزال — الشيوخ
والكهول ما بعد الاربعين والخمسين ليعتمد عليهم في كسب المعركة ونيل الظفر ؟ فليست
المقارنة في اتفاق الرجلين في الشباب وقت نهوضهما وإنما فقط في النبوغ والطموح
وخطورة الحوادث التي مرت على كل واحد منهما. فهل كانت هذه الامور محل بحث
لهذا المتصدي للأمر لم يخلق له ؟ ذهب أبو مسلم إلى خراسان وظفر نابليون في استرلتز ،
فما وجه المقارنة بين رجل ذهب إلى جهة وآخر ظفر بجهة أخرى . يقول حضرته
(إن أبا مسلم قام بالدعوة لبني العباس فأذل العرب ورفع بني العباس إلى سماوة المجد
بعد أن زلزل هذا العرش بني أمية) فهل سمع الناس أعجب من هذا مؤرخ ؟ أبو مسلم
أذل العرب لبني العباس ! وبنو العباس هم العرب وأصل العرب ومن أجلهم خضعت

العرب، وليست مهمة أبى مسلم أن يذل العرب لبنى العباس فقط و إنما العرب وغير العرب، الدعوة إلى الجميع على حد سواء. وان تعجب فعجب قول هذا المؤرخ (بعد أن زلزل عرش العباس ببنى امية) أى عرش جماعة كان قبل الآخرين. أعرش بنى العباس أم عرش بنى أمية ؟ و إذا فكيف زلزل عرش بنى العباس ببنى أمية ولم يكن لبنى العباس عرش قد وجد بعد ! ؟ ألا يحق لنا أن نقول :

هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

إن دعوة بنى العباس فى خراسان وغير خراسان كان قد أثمر ثمرها وأينع وكانت قد وجدت من طبيعتها تربة خصبة بعد أن سئم الناس حكم الأمويين فان كان أبو مسلم قد وقف على رأس الحوادث الفاصلة فهذا حظه من تاريخ حياته ولسنا ننكرين ما كان عليه من مكانة ممتازة وشخصية بارزة على كثيرين من أهل زمانه كما أن لغيره شخصيات فى التاريخ الاسلامى بل ربما فاقته مثل شخصية الحجاج التى سبق أن نوهنا عنها وطاهر بن الحسين موطد عرش المأمون وهو ما إذا أحللناه بين رجال التاريخ كان العلم الفرد وغير هذا . وذاك كثير : أما ان أبا مسلم قتل ستمائة ألف فهذا مما لم يذكره مؤرخ على أنه مزية من مزايا نابليون، أو أن اسناد هذا الأمر إلى رجل من رجال التاريخ مما يشهد بعظمة هذا الرجل. وإنما يستوى فى ذلك قطاع الطرق وزعماء العصابات المعروفة لكثرة فتكها ببنى الانسان . وأما المقارنة بين الرجلين فى فاجعتهما، فليس هنا وجه للشبه، إذ أن أبا مسلم كان قد اضطغن عليه ثانى خليفة فى الدولة التي عمل لها فقتله، لاخشية أن يكون لأبى مسلم مطمع فى الخلافة لأن أبا مسلم كان يفقد عناصر الخلافة ومزاياها فى ذلك العصر، و إنما خشية أن يستعمل نفوذه إلى جهة أخرى تهدد خلافة العباسيين أو أبا جعفر بالذات . أما فاجعة نابليون فليست من هذا القبيل بل هى نتيجة لمطامع الرجل التى ما كانت لتحد لو لا أن وقف له القدر حائلا دونها. فمكانة نابليون فى التاريخ ترجع إلى أسباب ومزايا هى غيرها فى أبى مسلم يكفى منها ما أشرنا اليه إجمالا من النبوغ المدرسى أولا ثم فى الحركة العلمية التى تجلت فيها عبقريته حتى أدهشت الجميع ثم فى مطامعه وتحديه العالم أجمع ليكون تحت نفوذه وسلطانه، وغير ذلك من الصفات التى يعرفها كل من استوعب تاريخ نابليون .

أما القول المأثور عن المأمون بأن أبامسلم أحد الثلاثة الذين قاموا بثقل الأرض فهذا قول رجل فى صنيعة من صنائعهم، وليس فيه أقل دليل على أن زعيم الشيعة الخراسانية قد تفرد بعظمة تاريخية استحق بها أن يضعه مؤرخ هذه الايام فى صف الامبراطور نابليون ، ومن يدرينا لعل لحضرته عذراً فى الاستدلال بكلمة المأمون إذ ربما خيل اليه سهواً أو جهلا أن نابليون كان قد تقدم عهد المأمون فأغفله هذا من ذكر الثلاثة الذين قاموا بثقل الأرض وليس هذا ببعيد على رجل يصرح له بالكتابة فى السياسة الاسبوعية فيقول فى عبث وجهل أن عرش بنى العباس — قبل أن يخلق هذا العرش — كان مهدداً ببنى أمية ثم يأتى برجل من رجال القرن الثامن ليضعه فى صف رجل فى القرن التاسع عشر فيتقدم بهما فى غير ماخجل مقرونة شخصية كل منهما بشخصية الآخر وهو مالم يحلم به أبو مسلم الخراسانى حتى بعد إساءته الى ستمائة الف من بنى جلدته ودينه الآمنين يقتلهم ظلما وعدوانا خدمة لسادته العباسيين فمن هم سادة نابليون إن صح زعمك أنك تعرف شيئاً عن تاريخه ؟

مؤرخ

اطلبوا جميع مايلزمكم

من

مكتبة الوفد

ترسل قائمتها مجاناً خالصة اجرة البريد — كتب مختلفة وروايات مستنوقة — بشارع الفلكى بجوار بوستة باب اللوق بمصر — ومجلدات وصحف وأدوات كتابية . تجليد حفر الكليشهات . وعمل أختام كاوتش بخطوط جميلة

لأنها المكتبة الوحيدة التي تقوم بخدمة زبائنها بأخلاص فاعتمدوا عليها فى جميع انهاء حوائجكم